• دريافت ۱۴۰۱/۰۲/۱۱
• تأييد ۱۴۰۱/۰۸/۰۳

الإحالة الضميرية ودورها في التماسك النصي (سورة الرعد أنموذجا)

عبدالوحيد نويدى*
غلامعباس رضايى هفتادرى**

الملخص

من أهم مباحث علم اللغة الوظيفي هي نظرية التماسك النصي التي تبحث في العوامل التي تربط عناصر النص ومكوناته، وهذه النظرية تشتمل على أدوات وعناصر مهمة ولازمة لتحليل أى نص ما، من أهم هذه العناصر وأكثرها انتشارا وظهورا على سطح النص عنصر الإحالة الذي يقوم بوظيفته الإحالية عن طريق مجموعة من الأدوات، ويجعل النص وحدة متلاحمة ومترابطة ومتماسكة. نحاول من خلال المنهج الوصفي التحليلي، دراسة وتحليل الإحالية الضميرية لسورة الرعد ومدى استخدامها في ترابط وتماسك وانسجام نص السورة. من أهم النتائج التي توصل البحث إليها أن الإحالة الضميرية بكل أنواعها ساهمت بشكل فعال في تحقيق الحركة والدوران بين آيات سورة الرعد وقامت بوظيفة هامة في تحقيق التماسك النصي بين أجزاء الآيات من خلال رجوع اللفظ المحيل إلى المحال إليه، وأن الإحالة في السورة المدروسة استخدمت بكثير بصورة نصيبة قبلية، كما أنه جاءت الضماير المحيلة إلى الله تعالى ورسوله الكريم والكفار و المؤمنين بكثير؛ الأمر الذي يدل دلالة واضحة على الاتساق الظاهر والترابط النصي لنص السورة، وكثرة استخدام الضمائر المحلية إلى الله والنبي والمؤمنين تدل على الإصرار على تثبيت الربوبية والخالقية والتأكيد له كما أن جميع الإحالات إلى الكفار جاءت بصفة عامة قبلية نصية.

الكلمات الرئيسة: القرآن الكريم، سورة الرعد، نحو النص، التماسك النصي، الإحالة الضميرية.

* أستاذ مساعد فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران (الكاتب المسؤول)
a.v.navidi@scu.ac.ir
** أستاذ مشارک فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، طهران ، إيران hrezaee@ut.ac.ir

١- المقدمة

بدأت إرهاصات نحو النص في بداية النصف الثاني من القرن العشرين (١٩٥٢م) من قبل الأمريكي زليج هاريس (Zellig Harris) في كتابه "تحليل الخطاب"، ثم تطورت تلك الدراسات النصية في السبعينيات على يد "فان دايك" الذي قام بتأسيس علم النص أو نحو النص(فضل،١٩٩٢: ٢٥٢)، والذي عاصره العديد من الكتّاب في هذا الاتجاه. واستمر هذا الأمر حتى تم تكامل هذا العلم الجديد في الثمانينيات على يد روبرت دي بوجراند.

أما عن نحو النص فيمكن القول بأنه طريقة جديدة في دراسة النص اللغوي، وهو مرتبط بالنص بأكمله أكثر مما يرتبط بالكلمة أو الجملة، وهكذا يتجاوز النص جميع القيود القياسية لنحو الجملة، وكل عادات القراءة التقليدية، ولن يكون التحليل النحوي للنص ممكنًا إلا من خلال النظر في التفاعل والعلاقة والترابط بين جسد النص بمكوناته من ناحية ومدلولاته المختلفة من ناحية أخرى، وكذلك مراعاة التعاون والتفاعل بين المرسِل والمتلقي من خلال مراعاة السياق والمقام. وبهذا فإن "مهمة النحو أن تجلي عبقرية النظام اللغوي في النص وقدرته على التعبير الدقيق من خلال وسائل التماسك النصي لفظا ومعنى؛ تلك الوسائل التي تساعد النص على تلاحم أجزائه وترابطه ليعطي معناه للمتلقي كما أراده المبدع أو المتكلم"(عفيفي،٢٠٠١: ٩)؛ لأن المعنى كما يقول هاليداى ورقية حسن، "يعطى للنص شخصيته، والنص يعطى للغة شخصيتها (Halliday and Hasan ،1976 :299)

بما أن التماسك يعد من أبرز خصائص النص، فقد أجمع علماء اللسانيات النصية على اعتباره أساسا في صياغة النص وبنائه. "والتماسك يعني الروابط التركيبية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية من جهة، وبين الملابسات والظروف الخارجية من جهة أخرى(أحمد المختار، ٢٠٠٦: ٢٢)، وممّا ترادف الروابط التركيبية في النصوص أدوات التماسك النصي، إذن لا بدّ أن تكون لكل تركيب روابط

ترتبط أجزاؤه بعضها ببعض لكي يكون مفهوماً، وتتنوع هذه الروابط في ضروب متعددة هي: الربط الإحالي، والربط المعجمي، والربط المتوازي، والربط الإضافي، والربط الخلافي، والربط المنطقي(عبدالعزيز، ٢٠٠٧: ٣ و ٤). وما يهمنا هنا هو الربط الإحالى أو عنصر الإحالة.

ونظرا لأهمية الإحالة في التماسك النصي، فقد نال عناية كبيرة من قبل علماء النص، بمفهومه، وأدواته، انطلاقا من هذا ارتأينا أن يدور موضوع بحثنا هذا حول عنصر من عناصر التَّرابط النصي ومظهر من مظاهر الاتساق، وهو عنصر الإحالة الضميرية، حيث يعد من بين الأدوات التي تساهم في تشكيل البناء النصي، وتلعب دورا بارزا في ربط أجزاء النص بأخواته من الكلمات المتجاورة، بحيث يستحيل الفصل بين تلك الأجزاء.

١-١) إشكالية البحث، أهدافه وضرورته

تتجلى إشكالية البحث في أن معظم الأبحاث التي تتناول سورة الرعد وتحليل آياته، لا تزال تقليدية وليس هناك من الباحثين من يقوم بتطبيق النظريات اللسانية والنصية الجديدة على هذه السورة، فقد ركّز معظم المفسرين على الجوانب اللفظية أو البلاغية أو النحوية أو غيرها في إطار توضيح المعنى وتقريبه إلى الأفهام والأذهان بصورة تقليدية وتحليل آياته تحليا لُغويًّا؛ الأمر الذى دفعننا إلى استخدام العلوم اللغوية الحديثة في خدمة النص القرآني ودراسة سورة الرعد دراسة جديدة نصية، محاولين التركيز على أهمية الإحالة الضميرية في تحليل الخطاب القرآني وإبراز دورها في تفسير النصوص القرآنية. فلذلك، يسعى هذا البحث المتواضع إلى دراسة الإحالة الضميرية كعنصر من عناصر الترابط النصي، وأثرها في دلالة النص وتماسكه وانسجامه في سورة الرعد، وبما أن النص القرآني من النصوص التي احتلت موقعا متميّزا بين العلماء والباحثين، فقد كان ولا يزال محطة هامة طالما شغف الكثير منهم بالوقوف عنده للتأمل فيه، والاهتمام به.

١-٢) أسئلة البحث

أ- ما أكثر أنواع الإحالة الضميرية في سورة الرعد؟

ب- كيف ساهمت الإحالة الضميرية كعنصر اتساقي في تحقيق التماسك النصّي وترابطه في سورة الرعد؟

١-٣) خلفية البحث

هناك دراسات كثيرة تناولت التماسك النصي كما أنه هناك عدة دراسات جعلت من سورة الرعد ميدانا للتطبيق والتحليل، إلا أنه لم نقف حتى الآن على بحث خاص بدراسة التماسك النصي في سورة الرعد بشكل عام والإحالة بشكل خاص من خلال المنهج اللساني النصّي، ومن أهم هذه الدراسات قريبة الصلة بهذا الموضوع وهذه السورة هي:

أ- الإحالة في نحو النصّ دراسة في الوظيفة والدلالة لأحمد عفيفي. البحث هذا نشر ضمن كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية في جامعة القاهرة ، ٢٠٠٥. ابتدأ فيه الباحث بتمهيد مختصر عن الاتساق النصّي ووسائله التي منها الإحالة وعناصرها ووسائلها ،وبعض قضاياها وتنوّعت أمثلته ما بين آية قرآنية ، وحديث نبوي ، وخطاب إعلامي.

ب- الإحالة وأثرها في دلالة النصّ لمحمد محمد يونس علي. هذا المقال نُشر في مجلة الدراسات اللغوية سنة ٢٠٠٤، ابتدأ فيه الباحث بمقدمة عن علم تحليل الخطاب وازدهاره في الغرب ثم عرض فيها باختصار لمفهوم الإحالة وأنواعها، مستخدما شواهد ما بين النصوص القرآنية واللغة الإعلامية. وبحثه أقرب إلى الاتجاه التقليدي منه إلى الدرس الحديث وغلبت عليه دراسة الإحالة في حدود الجملة أو الجملتين.

ت- دراسة في ظاهرة التماسك النصي في القرآن الكريم: سورة إبراهيم أنموذجا لمبروكة سعيدي. هذا البحث هو رسالة الماجستير التي نوقشت سنة ٢٠١٩م. كما

هو معلوم من عنوان الرسالة قام الباحثة في القسم التطبيقي بدراسة التماسك الشكلي والدلالي في سورة إبراهيم بكل أنواعها أي الإحالة والحذف و التكرار

ث- دور الاتساق والانسجام في تحقيق التماسك النصي في القرآن الكريم: سورة النجم أنموذجا، لربعية بن مخلوف، البحث هذا نشر في مجلة الآداب و العلوم الإنسانية سنة ٢٠١٦م. حاول الباحث فيه بيان التماسک النصي في سورة النجم من خلال أهم أدوات التماسک أي الإحالة و الاستبدال والمناسبة والضمائر و التوابع و...

ج- الثنائيات الضدية في سورة الرعد لمازن موفق صديق الخيرو. البحث نشر في مجلة آداب الرافدين سنة ٢٠١٠م. تحدث الباحث في مقدمة هذا البحث عن المفهومين اللغوي والاصطلاحي للتضاد ثم دخل في دراسة أشكال الثنائيات الضدية في سورة الرعد

من خلال استقراء الدراسات السابقة نلاحظ أن هذه السورة لم تدرس دراسة لسانية نصية عامة ودراسة أحالية ضميرية خاصة.

٢- الإطار النظري

٢-١) مفهوم الإحالة

أكد اللغويون على أن "الإحالة أداة كثيرة الشيوع والتداول في الربط بين الجمل والعبارات التي تتألف منها النصوص.(١٥١: Van Dyke،1977)، الإحالة تعني أن يرتبط عنصر ما في النص بعنصر آخر، سواء كان داخل النص أم خارجه، بشرط أن تربطهما علاقة من نوع ما، وعرفها دي بوجراند بأنها "العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما؛ إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص"(دى بوجراند، ١٩٩٨: ٣٢٠)

٢-٢) عناصر الإحالة

لا يتحقق الربط الإحالي في النصوص إلا من خلال توفر مجموعة من العناصر التي تسهم في تفعيله وتتوزع كما يلي (عفيفي، ٢٠٠٥: ١٦)

أ- **المتكلم أو الكاتب أو صانع النص:** من خلال قصده المعنوي تتم الإحالة حسب مراده وعلماء النص يشيرون إلى إن الإحالة عمل إنساني.

ب- **اللفظ المحيل:** وهذا العنصر الإحالي ينبغي أن يتجسد إما ظاهرا أو مقدرا كالضمائر أو أسماء الإشارة، وهو الذي سيحيلنا ويغيرنا من اتجاه إلى آخر.

ت- **المحال إليه:** وهو موجود إما خارج النص أو داخله من كلمات أو عبارات أو دلالات، ومعرفة الإنسان بالنص وفهمه له يعينه في الوصول إلى المحال إليه.

ث- **العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه:** والمفروض إن يكون التطابق مجسدا بين اللفظ المحيل والمحال إليه.

٢-٣) أنواع الإحالة

الإحالة على نوعين رئيسين:

أ- إحالة داخلية (نصية): وهي الإحالة إلى عنصر داخل النص، وهي إما أن تكون سابقة وإما أن تكون لاحقة.(عكاشة، ٢٠١٤: ١١٨)

ب- إحالة خارجية(مقامية): وهي الإحالة التي تعود إلى أحداث أو مواقف خارج النص،(دى بوجراند، ١٩٩٨: ٣٣٢) مثلا يحيل ضمير المتكلم على ذات صاحبه المتكلم حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم.(بحيري: ٢٠٠٥: ١٠٥) وقد وضح مايكل هاليدي ورقية حسن أنواع الإحالة هذه من خلال المخطط الآتي:

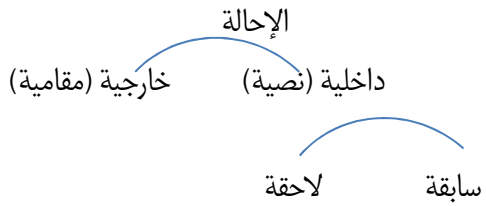

٢-٤) وسائل إحالية لتماسك النص

ذكر علماء اللغة المحدثون ثلاث وسائل إحالية لتماسك النص، وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، أسماء الموصول.

٢-٤-١) الضمائر (The Personal reference)

الضمير اصطلاحا هو "الاسم المتضمن تقديرا في الكلام (وهو الأصل)، وما له صورة في اللفظ البارز، للدلالة على متقدم أو متأخر في اللفظ،(عكاشة، ٢٠١٤: ٢٢٢) أو للدلالة على عين في العالم الخارجي(ابن كمال باشا، ٢٠٠٢: ٢١٨) أو الإشارة إلى ذات أو عين أو مضمون في القول، والأصل فيه الإخفاء لا الإضمار"(عكاشة، ٢٠١٤: ٢٢٢) ، والضمير من أقوى أنواع المعارف ولا يدل على مسمى ولا على الموصوف بالحدث كالصفة، ولا على حدث وزمن كالفعل، فالضمير كلمة جامدة تدل على عموم الحاضر والغائب دون دلالته على خصوص الغائب أو الحاضر"(بوقرة، ٢٠١٥: ١٢٢)

لقد حظيت الضمائر بقسط وافر من الدراسة لدى علماء العربية وعلماء النص، "وهي أكثر أنواع الإحالة شيوعا"(Halliday and Hasan،١٩٧٦: ٣٧)، إذ تؤدي دورا رئيسا في ربط أجزاء النص بعضها ببعض "ولولا وجودها في بنية النص لأدى ذلك إلى ارتباك المعنى أو غموضه"(فيصل المنَّاع وآخرون، ٢٠١٤م: ٨١) فقولنا: (قطف زيد تفاحة. أكل زيد تفاحة)، بنية سطحية بحسب تعبير التحويليين التوليديين تحمل أكثر من دلالة على مستوى البنية العميقة؛ لأن فيها فعلان يدلان على حدثين مختلفين هما القطف والأكل، وفيها فاعل واحد هو زيد أو فاعلان باسم واحد هو زيد،

مثلما تحتمل أن تكون تفاحة واحدة وقع عليها القطف والأكل، أو تكون تفاحتين مختلفتين، ولكن وجود الضمير يعطي للجملة معنى تنظيميا، فنقول:

قطف زيد تفاحة، ومن ثم أكلها.

قطف زيد تفاحة، وأكل أخرى.

قطف زيد تفاحة، وأكلها غيره. (البهنساوي، ٢٠٠٨: ٢٣ و الزناد، ١٩٩٣: ١١٨)

قطف زيد تفاحة، وأكل زيد آخر تفاحة أخرى.

إن المعنى الإحالي (Referential Meaning) المتمثل بالضمائر في هذه الجمل قد عمل على تنظيم الدلالة وتحديدها أو توجيهها عبر جانبين رئيسين هما: الجانب الموضوعي والجانب الشكلي، إذ يؤدي وجود الضمير - من حيث الموضوع - إلى عدم تفكك أجزاء النص الواحد، فوجوده في سياق الكلام إشارة واضحة إلى أن المتحدث عنه في بداية الكلام – على سبيل المثال- هو نفسه في وسطه أو آخره، وهو في الوقت نفسه جانب شكلي يهتدي القارئ من خلاله إلى رؤية ذلك الترابط، فالضمير وما يحيل إليه يعملان على تماسك النص فالضمير وحده من دون ما يحيل إليه لا يملك تلك الدلالة المستقلة ولا بد له من وجود عنصر آخر يحيل إليه أو مجموعة عناصر مذكورة بين أجزاء الخطاب (خطابي، ٢٠٠٦: ١٧)، لأن الإحالة "علاقة دلالية ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية إلا أنها تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه(المصدر نفسه، ١٩) جدير بالذكر أن مرجعية الضمير قد تكون داخلية، أي إلى مذكور في النص صراحة وهذا المذكور قد يكون سابقا أو لاحقًا، ومرجعية خارجية تعتمد على السياق أي ما هو غير مذكور في النص، وهناك ما يدل عليه.(إبراهيم الفقي، ٢٠٠٠: ١/ ١٤١)

٢-٤-٢) أسماء الإشارة(The Demonstrative – Reference)

اسمُ الإشارةِ هو "ما يدُلُّ على مُعينٍ بواسطة إشارة حسية باليدِ ونحوها، إن كان المشارُ

إليه حاضراً، أو إشارة معنوية إذا كان المشارُ اليه معنىً، أو ذاتا غيرَ حاضرة"(الغلاييني، ٢٠٠٧: ١١٦). فهذا الأسماء تشير إلى الأشياء المحسوسة؛ أي التي تشاهد وتلاحظ، كما تشير إلى الأشياء غير المحسوسة؛ أي التي لا تلاحظ بالعين المجردة، ولا يدركها الحس، لكن تُنزلها منزلة المحسوس.

فأسماء الإشارة تقوم بوظيفة تحديد موقع المشار إليه في زمن ومكان معينين داخل المقام الإشاري(الزناد، ١٩٩٣: ١١٧). وصنف هاليدي ورقية حسن أسماء الإشارة من حيث القرب والبعد إلى أسماء إشارة دالة على القرب مثل(هذا، وهؤلاء)، وأسماء إشارة دالة على البعد مثل (تلك، وأولئك)، ومن حيث الإفراد والجمع إلى أسماء إشارة دالة على المفرد، مثل (هذا، وهذه)، و أسماء إشارة دالة على الجمع، مثل (هؤلاء، وأولئك)، ومن حيث الظرفية إلى أسماء إشارة دالة على الزمان، مثل (الآن، وغدا)، وأخرى دالة على المكان، مثل (هنا، وهناك)(خطابي، ٢٠٠٦: ١٩). وهي من وسائل تماسك النص الرئيسة، إذ تحيل هذه الأسماء "إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق، ومن ثم تساهم في اتساق النص" وهذه الإحالة على نوعين: إحالة قبلية داخلية، و إحالة قبلية خارجية.

وتعمل أسماء الإشارة هذه على تماسك النص عن طريق الإحالة على سابق أو لاحق فيه، وينماز هذا النوع من التماسك بإمكانية الإحالة على جملة أو عدد من الجمل في موضع سابق له، والإحالة - على هذا الفهم - تمتلك خاصية ربط أجزاء النص بعضها ببعض وتغنى في الوقت نفسه عن تكرار بعض المفردات أو العبارات أو الجمل في النص فتؤدي إلى الإيجاز أو الاختصار في اللغة.

٢-٤-٣) الإحالة الموصولية(The relative pronoun)

الاسم الموصول هو "ما دل على معين بواسطة جملة تُذكر بعده، وتسمى صلة الموصول"(ابن ابراهيم القرش، ٢٠٠٣: ٩٧). ويعد الاسم الموصول وسيلة من وسائل

التماسك النصي؛ لأنه يستلزم وجود جملة بعده، وعادة ما تكون هذه الجملة فعلية، وقد يُعطف على هذه الجملة بعدة جمل فيطول الكلام، ويكون نصا كاملا، ويظل مرتبطا كله بالاسم الموصول الأول. ومن جهة أخرى يعد الاسم الموصول أداة من أدوات الإحالة فيرتبط بمذكور سابق، وقد يتكرر بصورة واحدة، ويظل مرتبطا بهذا المذكور السابق محدثا نسقا واحدا للنص كله.

وأما ما يهمنا هنا فهو العنصر الأول من وسائل إحالية لتماسك النص الأ وهو الضمير، لكنه قبل الدخول في القسم التطبيقي يجب أن نشير إلى مضمون سورة الرعد

٣- مضمون سورة الرعد

لا شك أن الأفكار الجزئية تمثل خيوطًا مهمة لنسج النص والعمل على تماسكه وترابطه في إطار الدلالة الجامعة، أو الجو العام أو الفكرة العامة للنص. والغرض من هذه السورة هو تقرير الوحدانية والبعث والجزاء، ودفع الشبهة التي يثيرها المشركون حول رسالة الله تعالى. ابتدأت السورة بقضية كبرى ألا وهي الإيمان بوجود الله ووحدانيته للرد على الجاحدين والمنكرين لذلك، فجاءت الآيات تقرر كمال قدرته تعالى وعجيب خلقه للسماوات والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والزروع والثمار وسائر ما خلق، ثم انتقلت الآيات للحديث عن المشركين وإنكارهم البعث والنشور وعن كفرهم وعنادهم وإنكارهم نبوة محمد (ص)، ثم تحدّثت عن دلائل وجود الله تعالى وقدرته في الكون، وردّت على الجاحدين المكذبين بوجود الله بالحجج والأدلة القاطعة، ثم ذكرتْ مثلين ضربهما للحق وأهله والباطل وأهله، ليتضح الفرق بين الهدى والضلال، و ذكرتْ ببعثة الرسل الكرام وتكذيب أقوامهم لهم، وعقاب الله الشديد لكل مستهزئ بآيات الله تعالى وذكرت بسعادة المؤمنين في دار النعيم ومآل الكافرين في دار الجحيم وتوعّدت المشركين بالعذاب، وختمت السورة الكريمة ببيان رسالة النبي وشهادة الله تعالى وشهادة المؤمنين من أهل الكتاب.

ولقد دار نص سورة الرعد في بؤرة محددة، هي موضوعها العام، وأن كل الجمل الأخرى أو المقاطع ما هي إلا شرح وتفسير وإعادة صياغة لتلك البؤرة، على حد ما يراه "فان دايك"، ولذلك استمر هذا النص بتعلق تراكيبه الآتية بعنصر من عناصرها، ولقد تماسكت هذه العناصر الجديدة مع العنصر المتماسك أصلا مع البؤرة الأصلية.

٤- القسم التطبيقي: الإحالة الضميرية ودورها في تماسك سورة الرعد

بعد أن أشرنا إلى العرض النظري لمفهوم الإحالة وعناصرها وأنواعها وأدواتها المساهمة في بناء الترابط النصي، نتعرض الآن بدراسة وتحليل الإحالة الضميرية لسورة الرعد، بغية الوقوف على أثرها ودورها في بناء دلالة السورة. العناصر المحيلة كيفما كان نوعها، لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، والمراد بالإحالة - كما هي المذكورة سابقا - الإشارة إلى شخص، أو شيء، أو أمر ما. وكثيرا ما تستعمل للإشارة إلى مذكور سابق، وتعمل علي الترابط بين أجزاء الكلام. أما الآن فندخل في شرح الإحالة الضميرية في سورة الرعد فيما يأتي:

٤-١) الإحالة الضميرية

الضمير من الأدوات التي استعملها الله في كتابه الحكيم بكثير لربط أجزاء الآيات القرآنية، ووصل الجمل بعضها ببعض، فالضمير يغني عن تكرار الاسم ويأتي من أجل الاختصار، والإيجاز الذي عد من بلاغة العرب، والضمير لا يرد في الجملة إلا وقد سبقه ما يوضح معناه ويفسره، في ضوء ما سبق، يظهر لنا أهمية استعمال الضمير في النص القرآني، ولولا وجوده لصار النص القرآني تكرارا وحشوا مملا؛ مما يجعل الآيات القرانية تفقد أثرها النفسي والمعنوي والبلاغي والإعجازي.

من أجل التحليل الدقيق أتينا بجدول الضمائر المستخدمة في نص السورة في الهامش[١]. يتبين من خلال هذا الجدول، وجود تماسك بين الآيات بواسطة الضمائر، بحيث حققت تسلسلا بين الآيات من خلال المرجعيات المحيلة خاصة إلى (الله

والرسول والكفار والمؤمنين)، فهذه الضمائر ساهمت في تحقيق التماسك بين افتتاحية السورة وخاتمتها. ومن خلال موضوعها العام وهو الحديث عن نزول القرآن على النبي، وتوحيد الله وربوبية وخالقيته، وأحوال الكفار والمؤمنين، وتقديم البراهين والمعجزات من الكون على صدق القرآن وتحقق وقوع الآخرة، لذلك فسيأتي اليوم الذي سيتحقق لا محالة. والنص هذا أنزله الله تعالى، ومتلقيه الأول النبي(ص)، لينذر به الكافرين ويبشر المؤمنين، فمن الطبيعى أن يكثر تواتر الضمائر المحلية إلى الله والنبي والكفار والمؤمنين.

نلاحظ أيضا في جدول الرقم الأول أن ضمائر الغياب جاءت في المقام الأول، وضمائر الخطاب في المرتبة الثانية وضمائر التكلم في المرتبة الثالثة. دون شك هذا النوع من الاستعمال الكثير للضمائر له أثر كبير في تماسك النص وترابطه وإيصال المعنى الذى أراد الله أن يوصله إلى المخاطب. هناك محالات إليها كثيرة في نص السورة وبلغ عددها وقفا لجدول الرقم الأول، ٣٢ محالا إليه لكننا نكتفي بدراسة وتحليل المحالات إليها الرئيسة في السورة لسببين: أولاً عدد الضمائر التي تحيل إلى بقية المحالات إليها قليل جدا ثانيا: معظم هذه المحالات إليها تدور في فلك بيان المعاني المتصلة بالمحالات إليها الرئيسة وتجلية القضايا الخاصة بها. بداية نأتي بجدول هذه الضمائر المحلية إلى المحالات الرئيسة:

	نوع الإحالة	المحال إليه	التواتر
١	الضمير	الله	٨٧
٢	الضمير	النبى	٤٣
٣	الضمير	المؤمنان	٣٢
٤	الضمير	الكفار	٦٤

جدول الرقم (٢): المحالات إليه الرئيسة في سورة الرعد

٤-١-١) دراسة المحالات إليها الرئيسة

٤-١-١-١) الإحالة الضميرية إلى الله تعالى

لقد استعملت الضمایر المحیلة إلى الله تعالى في سورة الرعد بكثير والتى يصل مجموعها إلى ٨٧ إحالة، مع العلم بأن عدد آيات السورة ٤٣ آية. تشتمل السورة - كما سبقت الإشارة إليها - على عدة أمور مستندة إلى الأطراف الأربع المشار إليها أعلاه وفيما يخص قضية الألوهية والعبودية فإن الضمائر فيها تعود إلى الأساس الأول في نص السورة ألا وهو الله تعالى، ومن خلال ذلك، تتطور فكرة النص من بدايته إلى نهايته، ومقدمة السورة تحمل نواة النص أو مفتاح النص الذي تتصل به الأطراف كلها وتتماسك معه، والمتمثل في ضرورة اتباع كتاب الله المنزل والثبات عليه وما يترتب عليه من نعيم أو شقاء في الدنيا و الآخرة.

وفقًا لجدول الرقم ١، يتضح أنه تم أحالة نوعين من الضمائر إلى الله: ضمير الغياب وضمير التكلم. وجميع ضمائر الغائب هي من نوع أحالة قبلية داخلية(نصية) ، وجميع ضمائر التكلم من نوع أحالة خارجية أو مقامية. بناء على هذا، سيطرت على سورة الرعد الإحالة الداخلية، وخصوصا منها الإحالة القبلية، هذا الحضور الكثيف للضمائر المحيلة إلى الله تعالى والموزَّعة في السورة كلها من بدايتها إلى نهايتها، يدل دلالة واضحة على الاتساق الظاهر والترابط النصي لنص السورة، ويناسب تماما مقام التوحيد الذي هو الدلالة الجامعة لهذه السورة الكريمة. قد ذُكر لفظ الجلالة (ربِّك) في الآية الأولى من السورة صراحة، وقد ذكرت بعدها الضمائر متأخرة عن المحال إليه ولهذا كانت الإحالة نصية قبلية.

وكثرة استخدام الضمائر المختلفة (المنفصلة والمتصلة والمستترة والبارزة) تدل على الإصرار على تثبيت الربوبية والخالقية والتأكيد له والإشارة إلى أنه هو الذي خلق العالم ودبَّر أمره وفصل آياته. هذه الضمائر المحلية إلى الله تعالى تتنوع في سورة الرعد بين ضمير الغائب(المنفصل والمتصل والمستتر) وضمير متكلم المفرد والجمع(المتصل

والمستتر) وتسهم في تحقيق الانسجام التطابقي والتوافق الشكلة والدلالي لأنها تعود إلى محال إليه واحد وكذلك ترتبط الآيات اللاحقة بالآية الأولى محققة الترابط النصي بنوعيه الشكلى في اتفاق الضمائر والدلالي في الإسناد والتماسك المعنوي بين الآيات.

الضمائر المستترة تعمل بدورها على جعل النص أكثر تماسكا، والتماسك الدلالي في الضمائر يبرز ويتجلى في كون أن الآيات تتحدث عن هيمنة الله على الكون، وإثبات ربوبيته ووحدانيت. إذا لاحظنا في الأفعال التى تستتر الضمائر فيها، نجد أن بعضها جاء بصورة الفعل الماضي (رَفَعَ - اسْتَوَى - سَخَّرة - مَدَّ - جَعَلَ - أَنْزَلَ - أَمَرَ - رَزَقْنَاهُمْ- أَنَابَ - أَرْسَلْنَاكَ - أَوْحَيْنَا - هَدَى - فَأَمْلَيْتُ - أَخَذْتُهُمْ - أَنْزَلْنَاهُ - أَرْسَلْنَا). تحيل هذه الضمائر إلى عمل في زمن مضى والتي تحقق وقوعها وبعضه الآخر جاء بصورة المضارع (يُدَبِّرُ - يُفَصِّلُ -يُغْشِي - نُفَضِّلُ - يَعْلَمُ - لَا يُغَيِّرُ -يُرِيكُمُ - وَيُنْشِئُ - وَيُرْسِلُ - فَيُصِيبُ - يَشَاءُ -يَضْرِبُ - يَبْسُطُ -وَيَقْدِرُ - يُضِلُّ - وَيَهْدِي - لَا يُخْلِفُ- يُضْلِلِ - يَمْحُو - وَيُثْبِتُ -نُرِيَنَّكَ -نَعِدُهُمْ - نَتَوَفَّيَنَّكَ- يَعْلَمُ - نَأْتِي - نَنْقُصُهَا) الأمر الذي يدل على تجدد العمل الاستمراي من قبل الفاعل. كل هذه الضمائر عملت على ربط عناصر الآيات ومكوناتها شكلا ودلالة دون تكرار مخل بالمعنى. كما نلحظ في كل هذه الأفعال أن الضمائر التى تحيل إلى الله تعالى جاءت في موقع الفاعل لأن الفاعل هو الذى يقوم بالتغييرات والتجددات والحركات وكما نعلم أن الله تعالى له القدرة والقوة على هذه التغييرات والتجددات في السماوات والأرض والدنيا والأخرة. فيما يلي نأتي بأمثلتها من قوله تعالى:

اللَّهُ الَّذِي **رَفَعَ** السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ **اسْتَوَى** عَلَى الْعَرْشِ **وَسَخَّرَ** الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى **يُدَبِّرُ** الْأَمْرَ **يُفَصِّلُ** الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) **وَهُوَ** الَّذِي **مَدَّ** الْأَرْضَ **وَجَعَلَ** فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ **جَعَلَ** فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ **يُغْشِي** اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣)

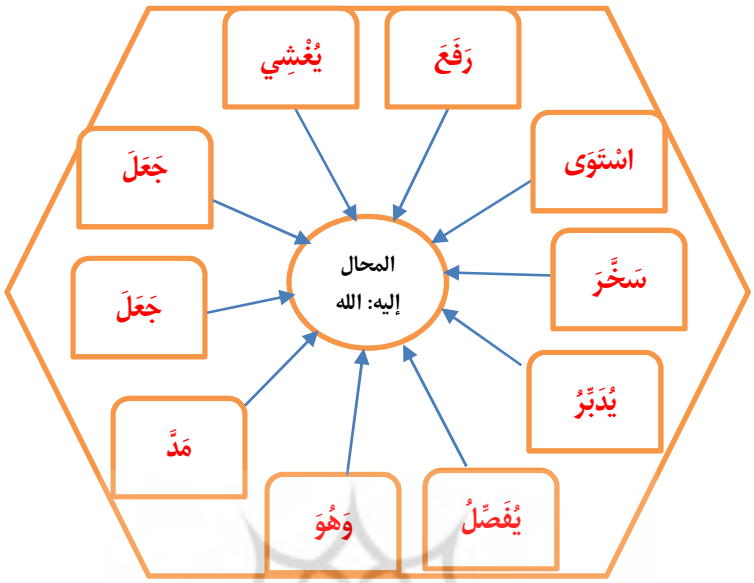

بما أن لفظ «الله» قد ذكر في بداية الآية فالإحالة هنا نصية (داخلية) قبلية لأن الضمائر كلها تحيل إلى لفظ سابق. دون شك من خلال توالي الإحالات إلى الله تعالى فأننا دائما نذكره ونراجعه في أذهاننا.

أما ضمير المتكلم فيحيل إلى الذات الإلهية الخارجية، وإنما جاءت الإحالة إليها باستعمال ضمير المتكلم بنوعيها المفرد والجمع سواء كان بارزا(تُ ونا) أو مستترا(أنا ونحن) أو محذوفا(نا و ي). وتكرر هذا الضمير بأنواعه المختلفة ٢١ مرة في الآيات: (٤ و٢٢ و٣٠ و٣٢ و٣٦ و٣٧ و٣٨ و٤٠ و٤١ و٤٣) ليدل علي عظمة الله تعالى. وتارة جاء هذا الضمير فاعلا للفعل وتكرر مجيئه بعدئذ، ليمثّل أكبر وسيلة للإحالة إلى الذات الإلهية في السورة. كقوله تعالى: (**وَنُفَضِّلُ** <نحن> بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ...)(الرعد: ٤) وقوله تعالى: (كَذَلِكَ **أَرْسَلْنَاكَ**<**نحن**>فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي **أَوْحَيْنَا**<**نحن**>إِلَيْكَ...)(الرعد: ٣٠) ، وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ **آتَيْنَاهُمُ** <**نحن**> يَفْرَحُونَ بِمَا **أُنْزِلَ [نحن: اصل الكلام: بما أنزلناه]**

إِلَيْكَ ...)(الرعد: ٣٦) وقوله تعالى: (وَلَقَدْ **أَرْسَلْنَا**<**نحن**> رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ **وَجَعَلْنَا**<**نحن**> لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً...)(الرعد: ٣٨) ، وقوله تعالى: (وَإِنْ **مَا نُرِيَنَّكَ**<نحن> بَعْضَ الَّذِي **نَعِدُهُمْ** <نحن> أَوْ **نَتَوَفَّيَنَّكَ** <نحن> فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا <نحن> الْحِسَابُ(الرعد: ٤٠) وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا<نحن> **نَأْتِي**<نحن> الْأَرْضَ **نَنْقُصُهَا**<نحن> مِنْ أَطْرَافِهَا)(الرعد: ٤١)

جدير بالذكر بأن الضمير المتصل (نا) في أفعال (**أَرْسَلْنَاكَ - أَوْحَيْنَا إليكَ - آتَيْنَاهُمُ - أَرْسَلْنَا - وَجَعَلْنَا)، والضمير المستتر في أفعال (وَنُفَضِّلُ - نُرِيَنَّكَ - نَعِدُهُمْ - نَتَوَفَّيَنَّكَ -نَأْتِي - نَنْقُصُهَا)**، جاء مسندًا إلى الله تعالى في الآيات المذكورة "وكان الأصل الإضمار ولكنه أظهر الضمير بيانا لما كان فيه من الضخامة"(البقاعي، ١٩٨٤: ١٧/ ٣٨٧ و ٣٨٦) كأنه يعني أن المناسب لسياق الحديث، فيما يلي من الآية أن تكون الجملة: **(يُفَضِّلُ** <هو> بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) أو (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ <هو> سِرًّا وَعَلَانِيَةً) ليناسب ذلك الحديث عن سياق الآيات السابقة، لأنه جاء المسند الله في الآيتين ٢ و٣ والأية ٢٢ اسما ظاهرا.

وهكذا استعمال ضمير المتكلم لاسيما ضمير الجمع (نا) جاء ليدل علي عظم ما فعل الله به وتحقير الكفار وتفاهة شأنهم، فإن معظم المباحث المستخدمة في هذه السورة تشير إلى عظمة الله تعالى وقدرته. تارة أخرى جاء ضمير المتكلم محذوفا مجرورا بحرف الجر أو بالأسم كقوله تعالى: (... فَأَمْلَيْتُ كَفَرُوا **[بي]** ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ **عِقَابِ [ـي])**(الرعد: ٣) وقوله تعالى: (وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ **وَعَلَيْنَا <نحن>** الْحِسَابُ)(الرعد: ٤٠) وقوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا **[بي]...)**(الرعد: ٤٢) ، واستعمال هذا النوع من الضمير مناسبٌ غاية المناسبة في كل المواضع الوارد فيها، كما يتضح من الآيات السابقة، يتكرر ضمير الجمع (نا) أكثر من ضمير المفرد (أنا)، وسبب ذلك، دلالته علي التعظيم النابع من كونه مشيرا إلى غير الواحد. وقد يجيء ضمير الجمع (نا) اسما لـ(أن) في الآية ٤١

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا<نحن> نَأْتِي الْأَرْضَ) فكان مناسبًا لتقرير الأمر المخبَر عنه، مع بسط للتعبير، وإفادة قصر الفعل المسنَد إلى الضمير عليه وحدَه سبحانه. وهكذا نجد الضمير (نحن) مقدّرا وجوبًا في بنية النصّ العميقة أو التحتية، عندما يتقدم الفعل المضارع المبدوء بنون العظمة،[1] ليتحدّث به الله – تعالى – عن نفسه إلى المخاطبين، أو إلى الرسول الكريم. فمرجعية ضمائر المتلكم خارجية لوجود القرائن السياقية الدالة عليها.

جدير بالذكر أنه قد يحذف ضمير الغياب العائد على الله تعالى واكتُفِيَ بدلالة (الف والم) عليه، من أمثلته قوله تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ **الْعِقَابِ** (۶) و قوله تعالى: وَهُوَ سَرِيعُ **الْحِسَابِ** (۴۱). أصل الكلام يكون هكذا: وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدٌ **عِقَابُهُ** وَهُوَ سَرِيعٌ **حِسَابُهُ**. كما أنه قد يحذف ضمير التكلم العائد على الله تعالى واكتُفِيَ بدلالة الكسرة عليه، من أمثلته قوله تعالى: فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ **عِقَابِ**(۳۲). أصل الكلام يكون : فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِي.

۴-۱-۱-۲) الإحالة الضميرية إلى رسول الله (ص)

واذا لاحظنا الضمائر التي تعود على الرسول(ص)، فإننا نجدها تصب في نفس الاتجاه الذي تصب فيه الضمائر التي تعود إلى الله تعالى. غرض السورة "بيان حقيقة ما نزل على النبي (ص) من الكتاب، ويدل على ذلك، ابتداء السورة بمثل قوله: وَالَّذِي أُنْزِلَ **إِلَيْكَ** مِنْ **رَبِّكَ** الْحَقُّ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ) واختتامها بقوله: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا **لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ** كَفى بِاللهِ شَهِيداً **بَيْنِي** وَبَيْنَكُمْ.

انتبه إلى استخدام ضمائر المخاطب (**إِلَيْكَ** - **رَبِّكَ**) في بداية السورة و(لَسْتَ - مُرْسَلاً (أنت) - قُلْ) وضمير التكلم (**بيني**) في نهاية السورة. هذا النوع من التكرار للضمائر في الآيتين الأولى والأخيرة من السورة والتي تحيل إلى النبي (ص)، يحافظ على تماسك النص من الناحيتين الدلالية والشكلية. هذا النوع من الإحالة يسمي

أحالة مقامية أو خارجة عن النص. أنظر إلى هذه الآية وتكرار حكاية قول الكفار أيضا: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ **عَلَيْهِ** آيَةٌ مِنْ **رَبِّهِ** إِنَّمَا **أَنْتَ مُنْذِرٌ**<**أنت**> وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)(الرعد: ٧) و(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ **عَلَيْهِ** آيَةٌ مِنْ **رَبِّهِ** قُلْ<**أنت**> إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ)(الرعد: ٢٧) ضمير الغائب في (عَلَيْهِ - رَبِّهِ) وضمير الخطاب (أنت المنفصل -أنت المستتر في منذر و قل) يحيلان إلى النبي (ص) إحالة مقامية. ولو أمعنا النظر في سورة الرعد لوجدنا أنّ الله عزّ وجلّ قد أرسل كلامه المبين إلى رسوله الكريم عن طريق جبريل(ع)، وهذا ما نعلمه دون إشارة إليه أو ذكر صريح في آيات السورة، فالمحال إليه هنا هو من يكشف الإبهام عن النص ويجعله قائما بذاته وواضحا جليًا. "محصل البيان على خطاب النبي (ص) أن هذا القرآن النازل عليك حق، لا يخالطه باطل؛ فإن الذي يشتمل عليه من كلمة الدعوة هو التوحيد الذي تدل عليه آيات الكون، من رفع السماوات ومد الأرض وتسخير الشمس والقمر، وتدل على حقية دعوته أيضا أخبار الماضين وآثارهم، جاءتهم الرسل بالبينات، فكفروا وكذبوا فأخذهم الله بذنوبهم. فهذا ما يتضمنه هذا الكتاب وهو آية دالة على رسالتك وقولهم "لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ" تعريضا منهم للقرآن مردود إليهم، أولا بأنك لست إلا منذرا، وليس لك من الأمر شيء حتى يقترح عليك بمثل هذه الكلمة، وثانيا أن الهداية والإضلال ليسا كما يزعمون في وسع الآيات حتى يرجوا الهداية من آية يقترحونها، وإنما ذلك إلى الله سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء على نظام حكيم، وأما قولهم: لست مرسلا، فيكفيك من الحجة شهادة الله في كلامه على رسالتك ودلالة ما فيه من المعارف الحقة على ذلك"(الطباطبائي: ١٤١٧ه: ١١/ ٢٨٤)

نموذج آخر من الآيات التي بها مرجعية خارجية للنبي صلى الله عليه وسلم: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ).

(الرعد: ١٦) يخاطب الله الرسول في هذه الآية، ويأمره بالاحتجاج على المشركين وبتوجيه السؤال عن ربوبية السماوات والأرض بقوله: (قل). أي بعد أن أقمت هذه الأدلة القاطعة السابقة، مقرراً لهم: من رب وموجد ومدبر السماوات والأرض؟ وهو سؤال لا ليجيبوا عنه بل ليسمعوا الجواب ملفوظاً وقد رأوه مشهوداً: قل: الله. "جعلوا هنا كأنهم منكرون لذلك عناداً، فلم ينتظر جوابهم بل أمره أن يجيبهم بما يجيبون به، إشارة إلى أنهم لا يتحاشون من التناقض في اتباع الهوى ولا تصونهم عقولهم الجليلة وآراؤهم الأصلية - بزعمهم - عن التساقط في مهاوي الردى، فقال: (قل الله) أي الذي له الأمر كله، فثبت حينئذ أن لا ولي إلا هو"(البقاعي، ١٩٨٤: ١٠/ ٣١١).

فالإحالة تظهر في مستهل السورة (إليك - ربّك) وفي أثنائها ونهايتها "لَسْتَ - مُرْسَلًا (أنت) - قُلْ(أنت)"، فضمير الكاف المتصل وضمير أنت المستتر عنصران يحيلان إلى المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يحمل الرسالة إلى جميع أبناء البشر، خاصة المشركين لأن السياق يبين لنا ذلك، فتكون الإحالة في مقامها الخاص وهي إحالة عملت على جعل بنيات النص الصغرى أكثر تلاحما وتماسكا، حيث إن القارئ لا يجد خللا أو فجوة في أثناء قراءة النص، وبهذا يتحقق التماسك النصي.

في كثير من الأحيان تضاف كلمة رب إلى ضمير يحيل إلى النبي. (رَبُّكَ[٤] - رَبِّهِ[٢] - رَبِّي) كما نلحظ أن التركيب الإضافي (رَبُّك) تكرر أربع مرات و(رَبِّه) مرتين و(رَبِّي) مرة واحدة. وهذا يدل على أن الله اختصّ نبيّه محمدًا بالرسالة والوحي، لأنه يعطي كلا من خلقه ما هو مناسب له، كما أنه يدل على رفعة مكانة النبي (ص) ومنزلته عند الله تعالى، إنه سبحانه قريبٌ منه ناصره، فضلا عن ذلك، استعمال كل من ضمائر الخطاب والغيبة والتكلم يؤدى إلى تلوين الأسلوب، ويبعد نص السورة عن الرتابة. خلاصة القول أن الخطاب الموجة إلى النبي(ص) لايخرج عن كونه تكليفا بالتبليغ أو النذير أو البشير أو ردا على حجج الكفار أو تسلية له بأخباره أن ما يحدث له قد حدث

للرسل من قبل، وهذه كلها أمور مرتبطة بقضية السورة الأساسية ألا وهي قضية العقيدة التي يكذب بها الكفار والمشركون. وقد يحذف ضمير التكلم العائد على النبي (ص) واكتُفِيَ بدلالة الكسرة عليه، من أمثلته قوله تعالى قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ **مَآبِ** (٣٦)). أصل الكلام يكون: قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ **مَآبِي**.

٤-١-١-٣) الإحالة الضميرية إلى الكفار

للكفار أيضا نصيب وافر من الضمائر في سورة الرعد؛ فالخطاب وجّه لهم، لأنهم أعرضوا وكفروا، فلذلك طبيعي أن يكون لهم حظ وافر من الضمائر، وهذا ما حقق التماسك الشكلي والدلالي. هذه سورة الرعد موجّهة إلى الكفار والمشركين لينذرهم الله تعالى على فعلهم وادعاءاتهم وأوهامهم التي لا أساس لها، وكما أشرنا أنفا إلى أن السورة هذه توزعت فيها ضمائر عديدة محيلة إلى عناصر مختلفة منها الكفار، هذه الضمائر المحيلة إليهم تتصل بالأفعال التي توضح أنهم كفروا بالله والكتاب ولم يستجيوا له وأتخذوا من دونه أولياء وجعلوا له شركاء ونقضوا عهده وقطعوا أمره وأفسدوا في الأرض واستهزؤوا برسله وصدوا عن سبيله وأنكروا آياته، فلذلك يستحقون عذاب الله ولعنته والأغلال. من خلال استقراء الإحالات الواردة في السورة نجد أنها تهديد ووعيد. ويرجع صبحي إبراهيم الفقي كثرة هذه الإحالات إلى المشركين إلى السياق التاريخي لدعوة الإسلام إذ يقول: "وهذا أمر طبيعي؛ فالله واحد لا شريك له، والرسل كلهم دعوة واحدة، والمؤمنون كلهم طائفة واحدة، لكن المشركين ملل وطوائف كثيرة ... وما فعلوه من تكذيب وسخرية واستهزاء وإعراض وكفر، هذا كله يحتاج إلى رد كثير على افتراءاتهم المتعددة، ومن تم كانت الضمائر أكثر". (ابراهيم الفقي، ٢٠٠٠: ١٨٩) ومن بين الآيات التي حملت ضمائر عائدة إلى الكفار والمشركين قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ(الرعد: ٥) وَيَقُولُ الَّذِينَ **كَفَرُوا** لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ(الرعد: ٧) ووَالَّذِينَ لَمْ **يَسْتَجِيبُوا** لَهُ لَوْ أَنَّ **لَهُمْ** مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ **لَهُمْ** سُوءُ الْحِسَابِ **وَمَأْوَاهُمْ** جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (الرعد: ١٨)ووَالَّذِينَ **يَنْقُضُونَ** عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ **وَيَقْطَعُونَ** مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ **وَيُفْسِدُونَ** فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ **لَهُمُ** اللَّعْنَةُ **وَلَهُمْ** سُوءُ الدَّارِ(الرعد: ٢٥) ووَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ **كَفَرُوا** ثُمَّ **أَخَذْتُهُمْ** فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ(الرعد: ٣٢).

هذه الإحالات كلها بصفة عامة قبلية نصية، لأن الذين كفروا، ذكر في السورة، الملاحظ في السورة أن الضمائر المحيلة إلى الكافرين تكاد تتوزع على الآيات كلها؛ إذ وصل عدد الضمائر التي تحيل إلى الكافرين في ٦٤ إحالة ضميرية، وهذه الضمائر حققت التماسك الداخلي للآيات التي تتصل بمحور السورة وهي قضية المكذبين بالله والقرآن والنبي(ص). وكذلك نجد الإحالة الخارجية التي يستعين المتلقي في تحديد المحال إليه فيها على خبراته "إذ أنه لا يمكن الاستغناء في تلقي القرآن عن مناسبة النزول لتحديد المحال إليه، فلولا إدراكه لهذه المناسبات لما استطاع معرفة مرجعية الضمير، ومن ثم تغيب كثير من المعالم الدلالية وقد ينقص من تماسكها نظرا لعدم وضوح مرجعية الضمائر بها"(ابراهيم الفقي، ٢٠٠٠: ، ١/ ١٩٦)، ومن الآيات التي وردت بها إحالة خارجية (مقامية) قوله تعالى: (وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا **كُنَّا** تُرَابًا **أَإِنَّا** لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) (الرعد: ٥) وقوله تعالى: (قُلْ **أَفَاتَّخَذْتُمْ** مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا)(الرعد: ١٦).

٤-١-١-٤) الإحالة الضميرية إلى المؤمنين

نجد في مقابل الكفار فئة المؤمنين الذين شهدوا بوحدانية الله تعالى بخلاف الذين أشركوا وكفروا، هذه الثنائية يمكن ملاحظتها في كثير من السورة القرآنية وبما فيها

سورة الرعد، ومنها قول الله تعالى: (لِلَّذِينَ **اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ** الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (الرعد: ١٨) و(الَّذِينَ **يُوفُونَ** بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا **يَنْقُضُونَ** الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ **يَصِلُونَ** مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ **وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ** سُوءَ الْحِسَابِ و وَالَّذِينَ **صَبَرُوا** ابْتِغَاءَ وَجْهِ **رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا** الصَّلَاةَ **وَأَنْفَقُوا** مِمَّا **رَزَقْنَاهُمْ** سِرًّا وَعَلَانِيَةً **وَيَدْرَءُونَ** بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ **لَهُمْ** عُقْبَى الدَّارِ(الرعد: ٢٠ و٢١ و٢٢) وسَلَامٌ **عَلَيْكُمْ** بِمَا **صَبَرْتُمْ** فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ٠ الرعد: ٢٤) و(الَّذِينَ **آمَنُوا** وَتَطْمَئِنُّ **قُلُوبُهُمْ** بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ والَّذِينَ **آمَنُوا وَعَمِلُوا** الصَّالِحَاتِ طُوبَى **لَهُمْ** وَحُسْنُ مَآبٍ)(الرعد: ٢٨ و٢٩)

كما نلاحظ أن الله تعالى استخدم ضمير الغائب المحيل إلى المؤمنين بكثير في الأيات المذكورة، وبين الله سبحانه فيها آثار الاعتقاد بالحق والإيمان والاستجابة لدعوة الله كما أنه أشار إلى الاعتقاد بالباطل والكفر به وعدم استجابة دعوته ويشهد بذلك سياق الآيات فإن الحديث فيها يدور حول عاقبة الإيمان والكفر وأن العاقبة المحمودة التي للإيمان لا يقوم مقامها شيء.

النتائج

بعد هذه الرحلة الطويلة مع سورة الرعد ودراسة عنصر الإحالة الضميرية فيها استوى البحث على طائفة من النتائج منها: الإحالة الضميرية بكل أنواعها ساهمت بشكل فعال في تحقيق الحركة والدوران بين آيات سورة الرعد وقامت بوظيفة هامة في تحقيق التماسك النصي بين أجزاء الآيات من خلال رجوع اللفظ المحيل إلى المحال إليه وبواسطة الرابط النحوي الذي يجمع بين العناصر المحلية والعناصر المحال إليها ليشكل تماسكا دلاليا يظهر على مستوى الداخلي للآيات. كما أن الإحالة في السورة المدروسة تكون إما في داخل النص فيطلق عليها الإحالة الداخلية أو النصية وإما في

خارج النص ويطلق عليها الخارجية أو المقامية أو غير النصية. لقد استخدمت الضمایر المحيلة إلى الله تعالى ورسوله الكريم والكفار و المؤمنين بكثير؛ الأمر الذي يدل دلالة واضحة على الاتساق الظاهر والترابط النصي لنص السورة، وكثرة استخدام الضمائر المحلية إلى الله والنبي والمؤمنين سواء كانت منصلة أو متصلة أو مستترة أو بارزة تدل على الإصرار على تثبيت الربوبية والخالقية والتأكيد له والإشارة إلى أنه هو الذي خلق العالم ودبَّر أمره وفصل آيات وأن النبى (ص) هو الذي أنزل القرآن عليه وهو صادق في قوله وفعله وعمله وأن المؤمنون اسلموا وأطاعوا له دون غيره. كما أن معظم الضمائر المحلية إلى رسول الله جاءت بصيغة الخطاب لأن الخطاب القرآنى هنا موجه إلى النبي(ص) لغاية التبليغ إلى الناس. وللكفار أيضا نصيب وافر من الضمائر في سورة الرعد؛ فالخطاب وجه لهم، لأنهم أعرضوا وكفروا، فلذلك طبيعي أن يكون لهم حظ وافر من الضمائر، وهذا ما حقق التماسك الشكلي والدلالي، معظم الضمائر المحيلة إلى المشركين والكفار جاءت بصيغة الغيبة والجمع؛ لأن الغاية منها هي الإنذار والتبليغ والتنبيه إليهم. كما أن جميع الإحالات إلى الكفار جاءت بصفة عامة قبلية نصية لأن "الذين كفروا" ذكر في السورة وهذه الضمائر حققت التماسك الداخلي للآيات التي تتصل بمحور السورة وهي قضية المكذبين بالله والقرآن والنبي(ص). نجد في مقابل الكفار فئة المؤمنين الذين شهدوا بوحدانية الله تعالى بخلاف الذين أشركوا وكفروا، هذه الثنائية يمكن ملاحظتها في كثير من السورة القرآنية وبما فيها سورة الرعد.

(١) الجدول الرقم ١

المحال اليه	نوع الإحالة	عدد الآية
النبي	ضمير الغائب[٢]	٧[٢] - ٢٧[٢]-
	ضمير الخطاب	١[٢]- ٥- ٦[٣]- ٧[٢]- ١٦[٣]- ١٩[٢]- ٢٧- ٣٠[٣]- ٣٢- ٣٣- ٣٦[٢]- ٣٧[٣]- ٣٨- ٤٠[٣]- ٤٣[٢]-
	ضمير التكلم	٣٠[٣]- ٣٦[٥]- ٤٣.
الناس و قوم	ضمير الغائب	١- ٣-٤-١١[٣]- ٦- ٤١-
	ضمير الخطاب	٢[٣]- ١٢-
القرآن	ضمير الغائب	١-٣١[٣]- ٣٦- ٣٧-
الله	ضمير الغائب	٢[٥]- ٣[٥]- ٦- ٧[٢]- ٩[٤]- ١١[٣]- ١٢[٣]- ١٣[٧]- ١٤[٢]- ١٦[٦]-١٧- ١٨- ٢٥- ٢٦[٣]- ٢٧[٤]- ٣٠[٤]- ٣١[٢]- ٣٣[٢]- ٣٧[٣]- ٣٩[٣]- ٤١[٤]- ٤٢- ٤٣[٢]
	ضمير التكلم	٤- ٢٢- ٣٠[٢]- ٣٢[٣]- ٣٦-٣٧- ٣٨[٢]- ٤٠[٤]- ٤١[٣]-
كل	ضمير الغائب	٢
عمد	ضمير الغائب	٢
أجل	ضمير الغائب	٢
الأرض	ضمير الغائب	٣[٢]- ٤١
قطع	ضمير الغائب	٤
جَنَّاتٌ	ضمير الغائب	٤-٢٣- ٣٥[٣]
ماء	ضمير الغائب	٤- ١٧[٢]
الكفار	ضمير الغائب	٥[٦]- ٦[٢]- ٧- ١٠[٦]- ١٣[٢]- ١٤[٨]- ١٨[٥]- ١٩[٢]- ٢٥[٥]- ٢٧- ٣٠[٣]- ٣١[٣]- ٣٢[٢]- ٣٣[٥]- ٣٤[٢]- ٣٦- ٣٧- ٤٠- ٤٢-٤٣-
	ضمير الخطاب	١٠- ١٦- ٣٣[٢]- ٤٣
	ضمير التكلم	٥[٢]
النار	ضمير الغائب	٥

المحال اليه	نوع الإحالة	عدد الآية
الحمل	ضمير الغائب	٨[٣]
القول	ضمير الغائب	١٠
من الموصولة	ضمير الغائب	١١- ١٣- ١٥- ٢٦- ٢٧[٢]
الملائكة	ضمير الغائب	١١ - ٢٣
الصَّوَاعِقَ	ضمير الغائب	١٣
المؤمنان	ضمير الغائب	١٥- ١٨[٢]- ١٩- ٢٠[٢]- ٢١[٤]- ٢٢[٧]- ٢٣[٥]- ٢٨[٢]- ٢٩[٣]- ٣١-٣٥
	ضمير الخطاب	٢٤[٣]
أَوْلِيَاءَ	ضمير الغائب	١٦[٥]
أودية	ضمير الغائب	١٧
ما الموصولة	ضمير الغائب	١٧- ١٨[٤]- ٣٩[٢]
الزبد	ضمير الغائب	١٧
أمر الله	ضمير الغائب	٢١[٢]- ٢٥[٢]-
أمة	ضمير الغائب	٣٠
قارعة	ضمير الغائب	٣١
النفس	ضمير الغائب	٣٣
شركاء	ضمير الغائب	٣٣[٢]
العذاب	ضمير الغائب	٣٤- ٤٠
أهل الكتاب	ضمير الغائب	٣٦[٢]
رسل	ضمير الغائب	٣٨
رسول	ضمير الغائب	٣٨

جدول الرقم (١): الإحالات الضميرية في سورة الرعد

الهوامش

١. هي نون المضارعة التي تسبق الفعل إذا ما استعمله غير الواحد من المتكلمين أو جاء مع إسناد الفعل للمعظم نفسه(الخميسى، ٢٠١٦: ٢٣٧).

٢. الرقم الأساسي هو رقم الآية، والرقم الصغير فوق الرقم الأساسي يشير إلى تكرار ذلك الضمير في نفس الآية. على سبيل المثال، في نمط٣٥، الرقم ٣ يدل على عدد الآية و الرقم ٥ يدل على تكرار الضمير في الآية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إبراهيم الفقي، صبحي ، ٢٠٠٠م، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبي: دراسة تطبيقية على السور المكية، ط ١، القاهرة: دار قباء للطباعة كالنشر.
- ابن ابراهيم القرش، ابي عبد الرحمن ، ٢٠٠٣م، النحو التطبيقي من القرآن والسنة، تقديم، ابراهيم جميل محمد، طنطا: دار الضياء.
- ابن كمال باشا، ٢٠٠٢، أسرار النحو، تحقيق: أحمد حسن حامد، بيروت: دار الفكر.
- أحمد المختار، وسن عبدالغني مال الله ، ٢٠٠٦م، **سورتا آل عمران ومريم دراسة نصية**، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل.
- بحيري، سعيد حسن، ٢٠٠٥م، دراسات لغوية تطبيقية، القاهرة، مكتبة الآداب.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، ١٩٨٤م، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- بوقره، نعمان، ٢٠١٥م، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب، أريد عمان: عالم الكتب.
- البهنساوي، حسام، ٢٠٠٨م، قواعد الربط وأنظمته في العربية ونظريات الربط اللغوية الحديثة، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.
- خطابي، محمد ، ٢٠٠٦م، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المغرب، الدار البيضاء.
- الخميسى، عبداللطيف السعيد يوسف، ٢٠١٦م، «التماسك النصي في سورة الزخروف»، **مجلة كلية الآداب**، العدد الثامن ، يوليو.

- دی بوجراند، روبرت، ١٩٩٨م، النص والخطاب والأجزاء، ترجمة تمام حسان، القاهرة: عالم الكتاب.
- الزّناد، الأزهر، ١٩٩٣م، نسيج النص في ما يكون به الملفوظ نصا، ط ١، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الطباطبائي، محمد حسين، **١٤١٧ه**، الميزان في تفسير القرآن، **بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات**.
- عبدالعزيز، نياز محسن، ٢٠٠٧م، الربط وأثره في تماسك النص، رسالة ماجستير، كلية اللغات، جامعة صلاح الدين، أربيل.
- عفيفي، أحمد، ٢٠٠٥، الإحالة في نحو النص: دراسة في الدلالة والوظيفة، جامعة القاهرة، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية.
- عفيفي، أحمد، ٢٠٠١م، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.
- عكاشة، محمود، ٢٠١٤م، تحليل النص: دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، مكتبة الرشد.
- الغلاييني، مصطفى، ٢٠٠٧م، جامع الدروس العربية، تحقيق: إسماعيل العقباوي، القاهرة.
- فضل، صلاح، ١٩٩٢م، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- المنّاع، فيصل، مراد حميد عبد الله، ٢٠١٤م، «أثر الإحالة في التماسك النص القرآني: سورة الحديد مثالا»، **مجلة الإشعاع**، العدد الثاني، ديسمبر.

- Halliday. M. A. K. and Ruqaiva Hasan، 1976 ، Cohesion in English، London.
- Van Dyke, 1977, Text and Background, London.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

Abstract

The Personal reference and its role in textual cohesion (Surat Al-Raad as a model)

Abdolvahid Navidi*
Ghulam Abbas Rezaei**

One of the most important topics of functional linguistics is the theory of textual coherence, which looks at the factors that link the elements and components of the text. Through a set of tools, the text makes a cohesive, coherent and cohesive unit. We try, through the descriptive-analytical approach, to study and analyze the pronoun referral of Surat Al-Raad and the extent of its use in the coherence, coherence and harmony of the Surah text. One of the most important findings of the research is that the pronoun referral of all kinds effectively contributed to achieving movement and rotation between the verses of Surat Al-Thunder and performed an important function in achieving textual coherence between the parts of the verses by returning the referring word to the referent, and that the reference in the studied surah was used a lot in a way A tribal text, just as the pronouns referring to God Almighty and His Noble Messenger, and the infidels and the believers are many; Which indicates a clear indication of the apparent consistency and textual coherence of the text of the surah, and the frequent use of local pronouns to God, the Prophet and the believers indicate the insistence on affirming and emphasizing Godliness and morality, just as all references to the infidels came in general before the text.

Keywords: The Quran, Surat Al-Raad, Grammar of the text, Textual coherence, The Personal reference

* Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, ahvaz, Iran (Responsible writer) a.v.navidi@scu.ac.ir.
** Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, University of Tehran, Tehran, Iran ghrezaee@ut.ac.ir